ستخضع لعملية تأهيلية تستمر شهورا طويلة ربما تستطيع في نهايتها التنفس بشكل طبيعي

الطفلة ماريا فقدت امها وأخاها وجدتها.. وأبوها سيعيش سجينا قربها في المستشفى

وعلى رئيس هيئة الاركان اجهاد نفسه والذهاب ليرى بأم عينه «الحرفية العالية» و«دقة الاصابة» لطياريه

ماريا أمن

■ النهاية الحسنة؟ لا نهاية ولا حسنة. ماريا أمن، طفلة صغيرة تتنفس تنفسا صناعيا وهي في شلل، نُقلت هذا الاسبوع الى مستشفى الاولاد «آلين» في القدس، بعد أن أمرت اسرائيل باعادتها الى غزة. ستضطر الطفلة الآن، وهي التي فقدت قبل نحو من شهر أمها، وأخاها وجدتها، الى أن تجرى عليها عملية تأهيلية تستمر شهورا طويلة ربما تستطيع في نهايتها، ربما، أن تتنفس بقواها الذاتية، وتتكلم بل تقوم من سريرها، بحسب تقدير الاطباء ستعالج نحوا من نصف سنة في هذا المستشفى الممتاز. سيكون أبوها بجانبها، سجينا في المستشفى، في حين سينتظره في بيته في غزة ابنه الصغير مؤمن، يتيم من أمه في السادسة من عمره.

الطفلان، ماريا ومؤمن، ناجيان من «الاحباط العيني» من انتاج سلاح الجو، الذي قصد الى اغتيال محمد دحدوح من الجهاد الاسلامي لكنه اجتث معه، على نحو عيني، عائلة كاملة تقريبا. لولا تدخل اتحاد الاطباء لحقوق الانسان واستجابة وزير الدفاع، عمير بيرتس، الذي عمل للانفاق على العلاج التأهيلي للطفلة، لكانت أُرسلت الى غزة، التي لا يوجد فيها مستشفى تأهيلي واحد للطب، حيث ستموت هناك. بحثوا في هذا الاسبوع ايضا عن حل مشابه للعم ناهد، وهو ايضا يتنفس تنفسا صناعيا وفي شلل من الاحباط، وهو أب لطفلين.

مدح الفريق دان حلوتس عملية سلاح الجو مديحاً خاصاً: في نهاية التحقيق الذي أجراه الجيش الاسرائيلي ذكر رئيس هيئة الاركان أن الهجوم قد نُفذ بـ«حرفية عالية» و«مع دقة كبيرة في الاصابة». اليكم اذا اقتراحا لرئيس هيئة الاركان الحساس، قائد سلاح الجو سابقا، الذي لا توجد أية معاناة انسانية غريبة عليه: ليُجهد نفسه في الإتيان الى مستشفى آلين في القدس ليرى بأم عينه «الحرفية العالية» و«دقة الاصابة» لطياريه. ربما يُحتاج ايضا الى أن يُرسل الى هناك جميع الطيارين اللامعين، قبل لحظة من خروجهم لتنفيذ مهمات الموت، ليروا بأم أعينهم النتيجة التي لن يروها أبدا على شاشات الحواسيب وعلى شاشات حواسيبهم المطورة: طفلة صغيرة جميلة، انهدم عليها عالمها، وأبناء عائلة مبتهجة سافروا في رحلتهم الاولى في السيارة الجديدة التي اشتروها وأصبحوا شظايا أناسٍ، منهارين بسبب الثكل، واليُتم والتعويق.

طلاء الأظافر الاحمر الذي كان يغطي بحرص الأظافر الصغيرة أخذ ينقشر، وأصبح الجلد على اليدين خشنا. بقي الشعر والعينان جميلين كما كانا، جميلين كما في الصور. في يوم الجمعة الماضي رأت ماريا، لاول مرة بعد اصابتها، أباها وظهرت على شفتيها بسمة واهية اولى. أمضت ثلاثة اسابيع من غير أم ومن غير أب، مع شقيق جدها فقط بجانبها، وهي في شلل تتنفس تنفسا صناعيا، وغير قادرة على تحريك عضو من اعضائها، باستثناء شفتيها، ولا تعلم أن أمها، وأخاها وجدتها قد فارقوا الحياة.

ليست الأخيرة: بعدها في ليل السبت جاء أبناء عائلة غالية، الذين جُرحوا وقُتلوا على شاطىء البحر، غير بعيد من بيت ماريا في غزة. ليست الاولى: في الاشهر الأخيرة تحدثنا هنا عن صاحب البيارة، عمر أبو وردة، وعن راعي الجمال، موسى السوارقة، وعن زارع البطيخ، حسن الشافعي، وعن زارعي التوت، أبناء عائلة غبن الذين قُتلوا في يوم الاحد من عطلتهم الصيفية بنار قواتنا. مريم الغبن، التي فقدت في حقول التوت اربعة أبناء، وحفيدا وابني أخ، جاءت في هذا الاسبوع الى بيت غالية لزيارة عزاء ومشاركة في الحزن. يتضح لمزيد الفظاعة أن مريم الثاكلة هي أخت علي غالية الذي قُتل في ليل السبت على الشاطىء أمام ناظري ابنته الصارخة، وعمة الأبناء الخمسة الذين قُتلوا هناك.

عندما لقينا الغبن بعد كارثتها، طلبت فقط أن يُحاكم جنود الدبابة الذين أطلقوا القذيفة الفتاكة نحو أبنائها. صدر عن والد ماريا، حمدي أمن، طلب مشابه، حينما زرنا بيته في حي تل الهوى، بعد ايام من كارثته: محاكمة الطيار الذي أطلق الصاروخ.

جلس حمدي ونبيل، عمه، في يوم الاحد متهيجي العينين في غرفة العائلات بقرب قسم العلاج المكثف في مستشفى الاولاد في تل هشومير. في الغرفة المجاورة استلقت ماريا. نجحت عملية التوسط نجاحا جيدا، وفي اليوم نفسه كانت ماريا توشك أن تُنقل الى آلين بدل غزة. قبل ذلك بأيام، عندما زرت القسم، كان نبيل هو الوحيد بقرب سرير ماريا، لم يفارقها لا في الليل ولا في النهار، لثلاثة اسابيع كاملة، وجاء عن المستشفى أنها توشك أن تُعاد الى غزة. الأب، حمدي، الذي سمع النذير في الهاتف في بيته في غزة، انفجر بصراخ انكسار. في يوم الاحد، بقرب سرير ماريا، قبل لحظة من نقلها الى آلين، كان حمدي أكثر هدوءا.

في غرفة العائلات التي يمكث فيها أقرباء العائلة الفلسطينيون: جد من رفح موجود منذ اربعين يوما متوالية بقرب سرير حفيده الصغير بعد اجراء عملية قلب، وأب من طولكرم بقرب سرير طفله وعم من غزة بقرب عزيزه. لا يجوز لأحد منهم الخروج من أبواب هذا المستشفى، بحسب تصريح المكوث ذي القيمة الكبيرة الذي نجحوا في استصداره، وهوياتهم مودعة عند ضابط الأمن الذي يفحص عن وجودهم طوال الوقت. لا يهتم أحد بإطعامهم، ويقضون لياليهم على الأسرّة ذات الطبقات في الغرفة المجاورة. بعضهم موجود هنا منذ شهور. هنا رمزي حشاش، أحد مواليد مخيم اللاجئين بلاطة ومن سكان جسر الزرقا في اسرائيل، فقد اثنين من أبنائه بانفجار غامض في بيت أبويه في مخيم اللاجئين بلاطة، وبقي ابناه يُعالجان هنا من حروق شديدة جدا. لقيناه هنا بعد الكارثة فورا، في شباط (فبراير). لم يتحرك لاربعة اشهر ولو للحظة من هنا. أصبح أمير وروني، ابناه، يتجولان في الأروقة، تغطي الحروق جسميهما، وتُعرض في هاتف أبيهما المحمول صورهما قبل الكارثة وبعدها ايضا، وهما يضعان على وجهيهما قناعين يثيران الرعب. زوجة رمزي الاسرائيلية، هنا ايضا، عولجت قبل بضعة اسابيع من وضع نفسي صعب، والآن لا يتجرأ على تركها لوحدها لحظة مع ابنيهما المحترقين.

قدم حمدي أمن ايضا عرضا متواضعا لكارثته على شاشة هاتفه المحمول. على أنغام موسيقى حزن عربية تبدو ضحاياه: فهنا صورة نعيمة زوجته، ابنة السابعة والعشرين، وهنا مهند ابنهما، ابن السادسة، وهنا حنان أمه، ابنة السادسة والاربعين. وهنا صور ماريا، قبل وبعد. ينظر حمدي ويبكي، وينظر ويزفر. «أنظر، طفلة جميلة، ما الذي فعلته؟».

أمس أراد السفر الى ايخيلوف، كما يقول، لزيارة عمه الجريح، لكن مُنع الخروج من أبواب تل هشومير. وُلدت لأخته أمس ابنة في غزة واسمها في فلسطين حنان، لذكرى جدتها. وعده أخوه محمد بأنه اذا وُلد له ابن، فسيُخلد ذكرى مهند الصغير.

مكالمة لحمدي من حاجز ايريز: يقول يعنكلي إن على حمدي أن يأتي فورا الى الحاجز، ليُغير تصريح مكوثه في المكان الجديد، مستشفى آلين. يصغي حمدي بوجه ساقط، وهو لا يكاد يعرف نفسه. هل أمضي الآن الى ايريز؟ كيف سيصل؟ وكيف سيعود؟ يتدارك يعنكلي ويقول إن حمدي يستطيع «في هذه الاثناء» أن يسافر الى القدس و«بعد ذلك سنرى». يهاتف المستشار الاعلامي لوزير الدفاع، ايلان أوستفيلد ليُبين أنه عندما علم الوزير بنية إرسال ماريا الى غزة، أمر فورا بالاهتمام بالنفقة على استمرار علاجها في اسرائيل، مهما طال. من المثير أن نعلم هل يشارك وزير الدفاع رئيس هيئة اركانه في احساسه بأن الهجوم نُفذ بـ«حرفية عالية» و«دقة اصابة».

الآن ينتظرون سيارة اسعاف تأتي لتأخذ ماريا. يُحضرون حقيبتين يدويتين ضخمتين وفيهما ألعاب أرسلها أو جلبها اسرائيليون طيبون. تستلقي الطفلة من غير أن تتحرك في سريرها، تحدق الى ما يحدث ونظرتها حزينة، وتوجد دُمية نعجة بيضاء ذات صوف على كتفها.

تتجه سيارة العلاج المكثف التابعة لنجمة داود الحمراء الى القدس، وفيها حمدي، ونبيل وماريا ومعهم أفراد الطاقم الطبي. أنبوب التنفس الصناعي مغروس في عنق ماريا، موصول مباشرة بقصبتها الهوائية، وفي جانبيه أنابيب اخرى. عيناها مغمضتان. «سنقوم بكل شيء لتحسين حالتها، لكن ذلك سيستغرق وقتا»، يُبين لحمدي بلهجة امريكية الطبيب الذي يضع قبعة دينية على رأسه، الدكتور اليعيزر باري، مدير قسم التأهيل التنفسي، مع وصوله الى آلين.

يبدو حمدي ونبيل مندهشين قليلا بسبب المكان الجديد. حمدي مقر بالشكر، ونبيل قلق أين سيستطيعان البقاء في الليل وهل سيكون في الامكان وضع كرسي بقرب السرير. تدأب مديرة المستشفى، الدكتورة شيرلي مئير، في العناية بماريا وتعالجها باخلاص. يستلقي طفل حريدي مصاب بالشلل بجانب ماريا في غرفتها الجديدة. يقول حمدي «هذا مسكين»، وتنظر ماريا فيما يحدث حولها.

«يُسمون المرضة الرئيسة إنجي، وستجيبكم عن كل سؤال»، تُبين المديرة مئير، بلهجة استرالية ثقيلة. المستشفى مثير للانطباع. يتجول أولاد وفتيان أصابهم القدَر، عرب ويهود، وهم في شلل وتشويه، على كراسٍ متحركة في الأروقة الواسعة. يبدو منظر اشجار السرو من نافذة غرفة ماريا الجديدة، وهو منظر لم تر مثله قط. يواصل الطبيب باري شرحه لحمدي ولنبيل: «قد يستغرق هذا اشهرا. سنرى كيف تتقدم، ولكن يُحتاج الى الصبر. لا يشبه هذا مرضا، حيث يتحسن الوضع في غضون بضعة ايام. لدينا أولاد مع مشكلة مشابهة وأنا على ثقة بأنكم ستتحدثون اليهم وستسمعون. سيستغرق هذا وقتا طويلا وسيكون التحسن تدريجيا. سيستغرق الأمر زمنا حتى تستطيع أن تجلس وسيستغرق وقتا أطول حتى تستطيع الوقوف لاول مرة. الآن لا تستطيع الحديث، ولا تستطيع اخراج صوت، لكنها ستتكلم. سنعمل على أن تستطيعوا الاتصال بها. سترون أنه يوجد هنا كثير من الاولاد، لكن كل واحد وقصته. لا يعني هذا أنها ستكون مثلهم». يقول حمدي للدكتورة مئير إن ماريا سألته في يوم الجمعة بشفتيها أين أمها، وتُبين مئير: «لا نعرف ما الذي تعرفه الطفلة. في الغد سنهيىء لك حديثا مع العاملة الاجتماعية، وستُبين لكم كيف تقولون لها ومتى. لا يحسن أن تكذبوا عليها، ولكن سيُبينون لكم ما تقولون لها بالضبط، بحسب العمر، والفهم، ومن يقول لها. يُفضل أن يقول لها أبوها. يبدو أنها لن تسأل عن أخيها وعن جدتها، فهم على نحو عام يبحثون عن الأم قبل كل شيء. نقول على نحو عام إن الأم جريحة جدا جدا وأنها موجودة في مكان بعيد وعندما تقوى الطفلة نقول لها الحقيقة».

جدعون ليفي
مراسل حقوق الانسان (ملحق لهآرتس)
2006/6/16

حماس ربحت من المواجهات وفرضت سابقة: اطلاق النار على اسرائيل يجلب الاموال ويمر دون ثمن

■ أكلنا الدجاجة الفاسدة وطُردنا من المدينة في آن واحد. حماس شرعت في اطلاق النار وأعلنت عن وقف الهدنة وأطلقت صواريخ القسام كما يحلو لها طوال 72 ساعة، واسرائيل راقبت واعتذرت وتلوت.

هذه لم تكن جولة اطلاق نيران اضافية. وانما المرة الاولى التي تجد فيها اسرائيل نفسها في مواجهة السيناريو الاسوأ من ناحيتها: حكم اسلامي متطرف منتخب يرابط على حدودها ويمارس الارهاب ضدها بصورة رسمية ومنهجية. الصيغة اللبنانية انتقلت الى قطاع غزة.

تلقينا ضربات القسام، ودفعنا ثمنا اعلاميا في العالم بسبب قضية عائلة غالية، وعملية الاغتيال الفاشلة في غزة، وفي نفس الوقت سمحنا لحماس بأن تُكرس سابقة السماح لها كحكم رسمي بأن تستخدم الارهاب ضدنا وأن تُطلق الصواريخ ـ من دون ثمن مقابل.

حماس رغبت في التمويل

في يوم الاثنين ليلا تراكمت معلومات استخبارية تشير الى أن حماس تنوي انهاء التحرك العسكري الذي بدأته عشية يوم الجمعة. القيادة العسكرية في حماس وممثلو اسماعيل هنية وخالد مشعل من دمشق ـ الضلع الثالثة في المثلث ـ توصلوا الى اتفاق بأن الخطوة قد استنفدت ذاتها. في المقابل أوصل اليهم أبو مازن رسائل اسرائيلية حازمة جدا، بينما كان المصريون ايضا يلعبون دورا رئيسا ويوضحون لحماس بأن اسرائيل توشك على فقدان السيطرة على نفسها وأنهم سيجدون صعوبة في ايقافهم.

في اسرائيل يفضلون القول إن هذه الضغوط الخارجية هي التي فعلت فعلها، وأدت الى وقف اطلاق النار، ولكن من الذي يصدق ذلك؟ يتبين أن وسيلة السلاح الأفضل لممارسة الضغوط على حماس هي المال. في يوم الثلاثاء بينما كانت وتيرة الصواريخ تتناقص، سمح المصريون فجأة لوزير الخارجية الفلسطيني محمود الزهار، بادخال 20 مليون دولار في حقيبته. هذا المال يعتبر بالنسبة لحكومة حماس، التي توشك على الانهيار، مثل الهواء للغريق.

الحكم الحمساوي في غزة فوجىء من الحزم والنجاح الامريكي في اغلاق الصنابير. هم كانوا على قناعة بأن حماس الخارج ستخترق الحصار بسهولة كبيرة وأن المال سيتدفق. إلا أن كل محاولاتهم من اجل ادخال المال عبر رفح أحبطت حتى الآن، سواء على يد القوة 17، الذين وضعهم أبو مازن في المعبر، أو من قبل المصريين. ولكن المصريين أوقفوا الزهار في يوم الثلاثاء الماضي وتسلوا معه قليلا، وعندما اتضح أن حماس مستعدة لوقف اطلاق النار ـ أعطوه حقائب المال. حماس تلقنت هنا ايضا درسا: ممارسة الضغوط العسكرية على اسرائيل تؤدي الى وصول المال. وما أن وصل المال حتى عادت صواريخ القسام للتطاير.

الجيش الاسرائيلي أطلق وأطلق

الدوائر الاستخبارية المختلفة أجرت في شهري نيسان (ابريل) ـ أيار (مايو) نقاشا حول «وجهة حماس». هل اختارت العمل العسكري في هذه المرحلة الى أن يترسخ حكمها، أم أن ذراعها العسكرية تستغل ضعف المستوى السياسي وتعود الى الارهاب. ذراع حماس العسكرية مرتبطة بقيادة الخارج. عندما تضعف حماس الداخل ـ تصبح حماس الخارج أكثر سيطرة. قبل سنة عندما حاول التنظيم العسكري في حماس فبركة حادثة تفجير شاحنة صواريخ القسام في قلب مخيم جباليا، وبدأ باطلاق النار على اسرائيل كرد على ذلك ـ عوقب. قيادة حماس الداخل كانت قوية بدرجة كافية في ذلك الحين، وتم تجميد رُتب بعض القادة العسكريين لثلاثة اشهر. اليوم لا يملك اسماعيل هنية وأتباعه الرغبة أو القدرة في وقف الذراع العسكرية عن الحركة ووضع قيود لها. هم سمحوا لها بغمزة عين بأن تتحرك.

تحركات الذراع العسكرية لحماس بدأت عشية عيد نزول التوراة بمستويات منخفضة. «الشاباك» أشار الى انعطافة ـ اطلاق الصواريخ ليس صدفة أو من قبل «العُصاة في حماس»، المسألة مسألة وقت، وهم سيخرجون من الجارور ليعلنوا عن ايقاف الهدنة. في الاسبوع الماضي نجحت قيادة المنطقة الجنوبية في اعتراض خلية قسام وإبادتها.

وبشكل عام، الاسبوع الذي سبق الجولة الأخيرة من اطلاق النار، كان حافلا بالانجازات الميدانية. قبل خمسة ايام من قتل عائلة غالية قُتل ستة فلسطينيين عند الجدار الفاصل بين غزة واسرائيل. كانت السلطة قد قالت انهم أفراد شرطة قُتلوا على يد اسرائيل. هذه كانت اول محاولة لحماس للقيام بعملية استفزازية لجر اسرائيل الى الرد. ولكن سرعان ما تبين أنهم ثلاثة من أفراد الجهاد الاسلامي. ذريعة حماس لتعليق التهدئة تبددت.

في يوم الخميس الماضي سجل انجاز آخر: رئيس لجان المقاومة الشعبية، أبو سمهدانة، اغتيل مع اربعة نشطاء في معسكر تدريبي جنوبي القطاع. في نفس اليوم تم اصطياد خلية قسام تابعة لحماس من الجو. ولكن في هذه الاثناء جاءت حادثة مقتل عائلة غالية على الشاطىء.

اطلاق القذائف المدفعية على قطاع غزة كان مسألة اخلاقية منذ اللحظة التي تحول فيها الى وسيلة رد روتينية بعد فك الارتباط. ما بدأ قبل عشرة اشهر بوتيرة بضع عشرات من القذائف التي يطلق شهريا على المناطق المفتوحة من اجل التخويف والردع، أصبح اليوم عددا فلكيا من القذائف. البطارية التي أطلقت القذائف الست في يوم الجمعة تطلق أكثر من ألف قذيفة في الاسبوع نحو شمالي القطاع. المعنى: البطارية التي تتواجد في الموقع منذ اربعة اسابيع أطلقت حتى الآن 5 آلاف قذيفة.

مجال اصابة كل قذيفة من هذه القذائف هو 30 مترا. أما مجال التدمير فهو سبعة أمتار من موقع سقوط القذيفة. حقيقة أن مصيبة لم تحدث حتى اليوم، هي أعجوبة كبرى بالنسبة للفلسطينيين، أو أعجوبة خارقة بالنسبة لطاقم المدفعية الاسرائيلي.

أفراد سلاح المدفعية لم يتأثروا كثيرا عندما لم ينجح الرادار المدفعي «نوريت» بمتابعة قذيفة واحدة من القذائف الست التي أُطلقت يوم الجمعة الأخير. الاحصائيات تشير الى أن الرادار لا يلتقط 15 في المئة من القذائف التي يتم اطلاقها. اذا كانت المدفعية تطلق ألف قذيفة في الاسبوع فان 150 منها تقريبا تضيع ولا يعرف لها أثر، أو انها تلتقط من قبل وسائل رقابة اخرى.

التبرير الوحيد الذي يسوقه الجيش لهذا الاستخدام المفرط للنيران المدفعية غير الدقيقة هو أنها ذات أثر ردعي. هذا ما تدعيه استخبارات القيادة الجنوبية على الأقل. وفقا للمعطيات هناك حدث 22 انذارا في شهر نيسان (ابريل) بوجود خلايا صاروخية مقتربة من تنفيذ الاطلاق. 14 انذارا منها لم تتحقق نتيجة القصف الوقائي الاسرائيلي. ربما.

الأمر الواضح هو أن دخول وسيلة القتال الجديدة التي يقوم الجيش بتركيبها في مواجهة صواريخ القسام، سيقلل اطلاق الصواريخ نحو اسرائيل ويخفض استخدام المدفعية التي ستصبح وسيلة تعزيز وفي مواقع قتالية محددة جدا. الفلسطينيون شاهدوا المنظومة الجديدة لانها موجودة في الجو. بالون واحد من بين اثنين سيحلقان بالتناوب في الجو. هذه البالونات تُمكن الجيش من مراقبة ما يحدث على الارض طوال الوقت والاتصال مع اجهزة اطلاق النار المختلفة في قيادة المنطقة. اكتشاف المنفذين واغلاق الدائرة حولهم سيتم في فترة زمنية قصيرة جدا. الخلايا ستُباد من قبل أن تتمكن من المغادرة. كل هذا سينفذ في غرفة عمليات مشتركة من كل الاجهزة الاستخبارية والجوية والميدانية.

في يوم الثلاثاء من هذا الاسبوع ـ اليوم الاول لاطلاق البالون ـ تم اكتشاف خلية إبان الاطلاق. وخلال عدة اسابيع ستنضم منظومة اطلاق النار المصاحبة للبالونات الى المهرجان.

ولكن في يوم الجمعة الأخير لم يكن البالون في الجو. الانطباع الأولي في اسرائيل كان أن عائلة غالية قد قُتلت بالفعل من قذائف المدفعية. حماس استغلت الذريعة وانتقلت الى اطلاق النار المعلن بدلا من الخفي. التوجه الاستراتيجي هو تعويد اسرائيل على وضع يتبلور فيه توازن للرعب. اسرائيل تضرب غزة فترد حماس بضربة مرتدة.

حماس لم تحلم بمثل هذه اللحظة الناجحة جدا. هي ضبطت اسرائيل مع ثلاثة متغيرات أدت الى شل قدراتها: اولا، صور عائلة غالية الصعبة، وثانيا وجود اولمرت في الخارج، وثالثا وجود لاعب جديد في الساحة الأمنية، وهو عمير بيرتس.

بيرتس يريد ضربة سريعة وخاطفة

عشية يوم السبت توجه بيرتس الى فرقة غزة وتلقى التقارير حول الاستعدادات والقرارات التي تتعلق بمستويات التصعيد، من ضمن الخيارات الجاهزة احتلال جزء من اراضي القطاع لوضع قدم اسرائيلية على الارض في ظل التدهور المتصاعد. جوهر الخطة العسكرية التدريجية يتحدث عن قصف جوي لضرب سلسلة الانتاج التي يتواجد جزء كبير منها في قلب التجمعات السكانية. بيرتس لا يصادق على هذه الخطة حتى الآن.

العنصر الآخر في خطة الجيش، والذي وافق عليه وزير الدفاع، ولكنه مجمد الآن، هو رفع مستوى الاغتيال المركز للقيادة العسكرية العليا في حماس ـ إعدام قادة حماس. هذه المرحلة من الخطة تحولت الى وسيلة مركزية في الحرب النفسية التي تمارسها اسرائيل ضد الفلسطينيين خلال الازمة الأخيرة.

وزير الدفاع أوضح لقيادة الجيش أنه يميز نفسه عن وزراء الدفاع السابقين ومن الحلول التي كانت قائمة حتى اليوم. هو لا يؤمن بالتهديدات والتلميحات والتصعيد التدريجي. وقد أُعجب جدا بطريقة التحرك التي قامت بها قيادة المنطقة الشمالية في مواجهة حزب الله. ضربة خاطفة وسريعة. وعليه، يرغب في تكرار ذلك في القطاع. ما أن يتخذ القرار حتى تستخدم كل القوة والعنفوان وتُباد كل الأهداف دفعة واحدة. كل شيء أو لا شيء.

الجيش حاول مجادلة الوزير والتوضيح له أن المفاوضات مع الفلسطينيين تتم عبر النيران، وأنه يحظر ترك القسام من دون رد، إلا أن الجدل لم يتطور حقيقة، وخصوصا لأن الجيش لم يُصر على موقفه. حالة الجو في يوم الاحد لم تكن هي الاخرى جيدة لعملية جوية، الأمر الذي أتاح للجيش الاختباء من خلف الغيوم.

حماس من ناحيتها سارعت لخوض المعركة. أصدرت الجهات العسكرية في الحركة أوامرها باخراج ثلث المخزون الصاروخي والاستعداد لاطلاقه تحت غطاء حكاية عائلة غالية. قرار حماس الاستراتيجي في تلك اللحظة هو اطلاق الصواريخ برشقات صغيرة لمدة زمنية متواصلة لعدم اعطاء اسرائيل ذريعة للاجتياح. هذه مراهنة كبيرة لأن كل صاروخ قسام قادر على التسبب بكارثة.

حماس أعلنت رسميا عن تعليق الهدنة، وخلال السبت والاحد أُطلق 25 صاروخ قسام. وفي يوم الاثنين 17 صاروخاً. اسرائيل ابتلعت الضفدع في اطار نظرية بيرتس. في يوم الثلاثاء ينوي الوزير ضربهم رغم ذلك. إلا أن الاستخبارات حملت اليه معلومات حول قرار حماس ايقاف النيران.

في يوم الثلاثاء نفذت عملية تصفية مركزة معقدة في غزة وقتلت ثمانية مدنيين ـ فزالت كل رغبة في الرد العنيف (حسب بيرتس). اسرائيل لم تشكل لجان تحقيق في هذه المرة لأن الخلل واضح.

في غضون ذلك أعلنت حماس عن انتهاء التهدئة في الضفة ايضا، وبدأت تستعد لعملية انتحارية داخل اسرائيل، إلا أن جهاز حماس العسكري في الضفة أضعف من مثيله في غزة لان الجيش الاسرائيلي نفذ اعتقالات واسعة بوتيرة 140 في كل اسبوع في ظل التصعيد التدريجي خلال الاشهر الأخيرة. الحديث الداخلي الفلسطيني في اوساط الفصائل الارهابية يتحدث عن «غول استخباري جاثم فوقنا». منذ مطلع هذه السنة تم اعتراض 90 انتحاريا. دخول حماس الى دائرة العمليات الانتحارية يجب أن يضع قيادة المنطقة الوسطى في حالة تأهب لأن قدراتها معروفة في هذا المجال. في هذا الاسبوع وحده: اطلاق النار على حراس للجدار في بيرنبالا، اطلاق النار على سيارة ذات لوحة أرقام صفراء على طريق 443، لقد آن الأوان لاستخلاص العبر. أمس صباحا أطلقت اربعة صواريخ قسام نحو سدروت، ولم يصب شخص واحد. هل يتوجب على اسرائيل أن ترد حتى تعيد حماس الى نقطة البداية؟ اسرائيل ارتكبت خطأ بعد الخروج من لبنان عندما هددت حزب الله وحكومة لبنان بالرد بصرامة على كل مخالفة صارخة لوقف اطلاق النار في لبنان، ولكنها لم تنفذ كلمتها. حزب الله بقي على الحدود وفرض الحقائق التي نعيش معها اليوم. حماس ستحاول تكرار الشيء نفسه. القسام الاول هو المحك.

الرد الاسرائيلي سيكون بالتأكيد: الصاروخ لم يتسبب بأضرار، فلماذا نثير الجلبة من ذلك. فيكررون الأمر، ومن ثم ينفذون عملية في تل ابيب. اسرائيل بدورها ستقوم بعملية اغتيال مستهدف في غزة. فتطلق حماس رشقات صاروخية نحو سدروت، فماذا ستفعل اسرائيل حينذاك؟ قصف مكثف للقطاع مع احتمالية لحدوث عشرات العمليات الاخرى (حسب نظرية بيرتس).

يتوجب معالجة أمر هذا القطار السريع وهو في بداية طريقه. نحن فوتنا هذه الفرصة، والآن يتوجب علينا أن نصلح عملية الختان.

اليكس فيشمان
كاتب رئيسي في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/16

مصير المرضى الأكبر سنا ليس أفضل حالا منهم

اسرائيل والسلطة تتجادلان والاطفال الفلسطينيون يحتضرون بانتظار زراعة النخاع

■ مصطفى أحمرو، ابن العامين ونصف، من الخليل، خرج من المستشفى قبل ثلاثة ايام بعد أن دخله لمدة 17 يوما لتلقي علاج وقائي من مرض سرطان الدم.

الدكتور غسان بنورة، من مستشفى الحسين في بيت جالا يقول إن وضعه أفضل بكثير، وإنه متماثل للشفاء حسب ما يظهر، إلا أنه بحاجة الى زراعة نخاع حتى لا يعود اليه المرض. المشكلة أن الزراعة غير ممكنة في الضفة، وهي تستوجب النقل الى اسرائيل أو الخارج بتكلفة تصل الى 40 ألف دولار. 27 طفلا آخر، حسب سجلات أكرم سمحان، المسؤول عن العلاج في الخارج في وزارة الصحة، لم يحالفهم الحظ مثل مصطفى. هم بحاجة لزراعة عاجلة للنخاع وليس هناك من يدفع عنهم نفقات العملية.

وزارة الصحة الفلسطينية كانت تغطي نفقات زراعة النخاع والكبد والكلى، إلا أن وزير الصحة في حكومة حماس، باسم نعيم، يقول الآن إن المال قد نفد من خزينة الوزارة بسبب الحصار الاقتصادي المفروض على السلطة. إلا أن الحقيقة أكثر تعقيدا مما يصفه الوزير ومنظمات حقوق الانسان. الحقيقة هي أن الحكومة الفلسطينية لم تعد تحول الاموال مباشرة الى المستشفيات الاسرائيلية، ولذلك لجأت اسرائيل الى استقطاع الاموال المستحقة من العوائد الضريبية والجمركية المستحقة للسلطة لديها. هذا مقابل تعهد من وزارة الصحة الفلسطينية بامكانية استخدام اموال الضرائب.

ولكن يتبين أن الوزير باسم نعيم (المتواجد في ايران الآن) أمر بايقاف إصدار التعهدات التي كانت تتيح للمرضى اجتياز عمليات الزراعة. حسب قول مسؤول فلسطيني كبير يوجد لدى حكومة حماس سلم أولويات مختلف ـ هي بحاجة الى اموال الضرائب من اجل دفع رسوم الكهرباء والغاز والوقود، والمرضى ليسوا أولوية اولى. اسرائيل من جانبها تُصر على عدم اقتطاع الاموال وانقاذ الاطفال الى أن يصدر التصريح الرسمي من قبل الحكومة الفلسطينية.

عدد غير قليل من الأطراف، وأغلبها من اسرائيل، تطوع لمساعدة هؤلاء الاطفال: نشطاء منظمة «كيشف»، يزهار بار وعيريت جال وصديقهما اسحق مغريفتا و«مركز بيريس للسلام» الذي ساعد 2500 طفل في دفع نفقات العلاج في اسرائيل.

مصير المرضى الأكبر سنا ليس أفضل حالا من الاطفال. العشرات ينتظرون تصريح وزارة الصحة الاسرائيلية لاجتياز عمليات الزراعة أو حتى عمليات الاستئصال للأورام التي تنفذ في اسرائيل أو في الخارج فقط.

في وزارة الصحة الفلسطينية يقولون إن على اسرائيل أن تدفع ثمن العلاج «لكونها الجهة المحتلة للمناطق»، أما بالنسبة لقرار الوزارة بعدم اصدار تعهد بالدفع فيقولون عنه هناك انه قرار مبدئي لأن اسرائيل لا تملك الحق في التقرير بأن العلاج يتم في اسرائيل فقط (المبلغ المقتطع من اموال الضرائب قابل للتحويل في اسرائيل فقط). شلومو درور، الناطق بلسان منسق العمليات في المناطق، يقول «إن دولة اسرائيل تسمح بخروج المرضى للعلاج في اسرائيل وفقا لاعتبارات طبية. وعلى السلطة الفلسطينية أن تفي بتعهداتها للمستشفيات في اسرائيل مقابل العلاج الذي يتلقاه المرضى الفلسطينيون. وفي حالة عدم رغبة السلطة في اعطاء تعهدات مالية للمرضى ليس بامكان اسرائيل أن تفرض عليها ذلك».

آفي سيسخروف
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/16

اسرائيل اخفقت في التصدي للهجمات الصاروخية الفلسطينية وموقفها الان دفاعي ووقائي

■ في هذا الاسبوع أثير انطباع خاطىء وكأن اسرائيل قد نجت من ضائقة كبيرة بعد أن كبح الجيش من قبل وزير الدفاع ومنع من تنفيذ خطة اجتياح عسكري لقطاع غزة. هناك شك في أنهم قد رغبوا في شن عملية كبيرة إبان تواجد رئيس الوزراء خارج البلاد. التقارير دفعت ايهود اولمرت المتواجد في لندن للتصريح بأنه لا يعرف بأمر هذه الخطة. والامر الجوهري هو: هذه الخطة المزعومة لم تطرح من قبل الجيش الاسرائيلي. الجيش عرض قائمة أهداف خلال النقاش الذي جرى بوجود وزير الدفاع عمير بيرتس في ظل الهجمة الصاروخية الفلسطينية ولم تطرح خطة للاجتياح المكثف للقطاع.

خلال ذلك النقاش اقترح ضرب عناصر اخرى من منظومة القسام. كان من المفترض ان ينفذ هذا الاقتراح منذ مدة من الزمن. كما بحثت كيفية التصرف مع قادة حماس المشاركين باتخاذ قرار شن الهجمة الصاروخية. وفهم من اقوال رئيس هيئة الاركان بأن الجيش قد ينفذ عمليات تغلغل مكثفة في غزة في المستقبل. رغم انه كان قد قال في السابق انه يعارض العودة للقطاع مرة اخرى.

الانطباع بأنه كان على وزير الدفاع ان يكبح جماح المتحمسين للحرب في الجيش، ليس صحيحا. هو ركز على الضرورات العملية واطلاق رسائل تحذيرية للفلسطينيين. ومع ذلك يتوجب القول ان في قيادة جهاز الدفاع مجموعة مطالب بعدم تأجيل المجابهة مع حماس. التعليل لهذا الادعاء هو أن ما يمكن القيام به اليوم ضد التنظيم الساعي لتدمير اسرائيل ربما لن يكون متاحا في الغد. الجيش فشل حتى الان في حربه ضد الصواريخ التي تطلق من قطاع غزة. هنا وهناك يتم ضرب الخلايا الصاروخية وفي بعض الاحيان يصاب المدنيون الابرياء كما حدث في هذا الاسبوع عندما اصيبت سيارة حاملة للصواريخ في قلب مدينة غزة. من الناحية الاخرى لم ينجح الجيش في القضاء على الورشات التي تصنع الصواريخ والمخارط محدودة العدد. كما أن مخازن الصواريخ والمهندسين لم يتضرروا هم ايضا.

النتيجة هي أن مستوى أمن المواطنين في التجمعات الاسرائيلية الموجودة قرب الحدود في «غلاف غزة» وسديروت قد تدهور بعد فك الارتباط. من الممكن فهم مظاهراتهم وتبريرها من جهة. فلا أحد من باقي المواطنين في المناطق الداخلية الاخرى يقبل بجلب أطفاله والاقامة في منطقة معرضة للقصف حيث تصبح الاصابة والنجاة مسألة حظ فقط. الجيش لم يقدر هذا التطور بصورة صحيحة والتي تعني تراجع قدرة اسرائيل الردعية ضد الاسلحة الصاروخية والمدفعية. ما يتوجب ان يقلقنا هو دروس التجربة مع حزب الله الذي يسيطر على منظومة صاروخية هائلة في لبنان. الفشل في مواجهة صواريخ القسام هو دعوة لحزب الله للتحرش باسرائيل.

الجيش يسير على حبل رفيع. في كل ما يتعلق برده اقتراحات عدم الرد بالقوة كليا يجب ان ترفض فوريا. ولكن يتوجب القيام بكل ما هو ممكن حتى لا تظهر اسرائيل في نظر الجمهور الفلسطيني كعدو قاس رافض لأية تسوية. ان فشلنا في ذلك سيزداد الدعم الفلسطيني لحماس